مولانا الشيخ محمد عادل الربّاني

انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم. الصلاة والسلام على رسولنا محمد سيد الأولين والآخرين. مدد يا رسول الله، مدد يا ساداتي أصحاب رسول الله، مدد يا مشايخنا، دستور مولانا الشيخ عبد الله الفائز الداغستاني، شيخ محمد ناظم الحقاني، مدد. طريقتنا الصحبة والخير في الجمعية.

نبينا الكريم ﷺ يقول "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا". تعجب الصحابة من ذلك وتساءلوا "نستطيع نصرة المظلوم، فكيف ننصر الظالم؟". ذلك لأن نبينا الكريم ﷺ هو رمز العدل والأخلاق؛ فهو ﷺ بطبيعة الحال ينصر المظلوم، لكنه لا يعين الظالم على ظلمه. ومع ذلك، ففي هذا الحديث الشريف، يوجهنا ﷺ لنصرة كل من الظالم والمظلوم. عندما سُئل عن كيفية ذلك، كان التوضيح هو: أن تنصر الظالم بمنعه من ارتكاب الظلم. إذا ظلم، فإنه في الحقيقة يظلم نفسه؛ إذ يجلب على نفسه غضب الله ﷻ، ويصبح ممن لا يحبهم الله ﷻ. لذلك، ساعده لكي يكف عن ظلمه، ويهتدي إلى الطريق الصحيح —طريق نبينا الكريم ﷺ—، فيقف إلى جانب المظلوم ويصبح ممن ينصرون المظلومين. ساعده ليتخلى عن تلك الطبيعة؛ فالظلم ليس أمراً محموداً، بل هو أبغض الأشياء إلى الله ﷻ. إذا لم يرتدع الظالم عن ظلمه، فإن الله ﷻ سيُسلط عليه من يأخذ بزمامه، لينتهي به المطاف متجرعاً نفس الظلم الذي كان يقوم به.

.

لذلك، فإن لهذا الحديث أهمية بالغة. ولا عجب أن دُهش الصحابة وتساءلوا "إذاً، كيف يجب أن أتصرف؟". في الحقيقة، إن أعظم صور المساعدة -حتى أكثر من مساعدة المظلوم- هي مساعدة الظالم؛ وذلك بأن تقول له "لا تفعل هذا! لا تسلك هذا المسلك. هذا الشخص لم يرتكب في حقك شيئاً؛ إنه ضعيف، لماذا تظلمه؟ أي ذنبٍ اقترفه؟ لم يلحق بك أي ضرر أو أذى". فلو أن أحداً تسلط عليك أو آذاك، لكان من حقك الدفاع عن نفسك، وهذا لا يُعدُّ ظلماً. أما الظلم فهو أن يتصرف المرء كالمعتدي تجاه من هم أضعف منه؛ وهذا تصرفٌ خاطئ. لذلك، فإن وضع حدٍّ لمثل هذا السلوك -من خلال تقديم النصح، تبيين الخطأ، تحذير الظالم للكفِّ عن فعله- هو عينُ مساعدة الظالم؛ إذ فيه إنقاذٌ له من أمرٍ جسيم، وتنبيهٌ له ليعود إلى رشده، فلا يجلب على نفسه غضب الله ﷻ.

.

هذا أمرٌ بالغ الأهمية. قد يشعر البعض بالحرج أو الضيق، متسائلين "كيف يمكنني القيام بذلك؟". لكن لا بد من الكلام؛ فهذا لونٌ من ألوان النصيحة. من لم يقبل النصيحة حلّت الندامة، فالدينُ في جوهره قائمٌ على النصيحة. يجب عليك تقديم النصح حتى لا يظل الظالم معتقداً أنه على صواب في كل تصرفاته؛ بل يجب أن يدرك "لقد كان ما فعلتُه خطأً". بالطبع، قد يكون هذا أمراً صعباً أحياناً، ولا يملك الجميع القدرة على القيام به. ومع أن هناك مواقف تتيح لك تقديم النصح وأخرى قد لا تسمح بذلك، إلا أن تقديم النصيحة يظلُّ أمراً خيراً للجميع. الله ﷻ يعيننا. نرجو ألا نظلم أي شخص -سواء كان ذلك عن علمٍ أو عن غير علم- إن شاء الله. بالطبع، قد توجد حالاتٌ معينة -حتى وإن بدا فيها الطرف الآخر ضعيفاً- يقوم فيها ذلك الشخص بالتسلّط عليك أو التسبب في إزعاجك أو إلحاق الضرر بك؛ فهذا أمرٌ آخر مختلف. ومع ذلك، ليس من الصواب ظلمُ أحدٍ -ممن لم يلحق بك أي ضرر- لمجرد كونه ضعيفاً أو مستضعفاً. الله ﷻ يعيننا جميعاً. نرجو ألا نقع في مثل هذه المواقف، إن شاء الله. فالنفس تميل بطبعها الدنيء إلى سحق الضعفاء؛ فهي تنكمش وتصمت أمام من هو أقوى منها، لكنها إذا واجهت ضعيفاً، فإنها تبطش به. الله ﷻ يصلحنا جميعاً، إن شاء الله. ومن الله التوفيق. الفاتحة.

مولانا الشيخ محمد عادل الرباني

مولانا الشيخ محمد عادل الحقاني
17 تشرين الثاني 2026/ 7 جمادى الآخرة 1448
ليفكا، قبرص